بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

البيانُ التفصيلي: في تحليل ظاهرة تكرار بعض الآيات القرآنية، كتكرار الآية المباركة وهي قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[1] في سورة البقرة وسورة لقمان.

وفيه عدّة محاور:

المحورُ الأوّل: في بيان معنى الإحكام والتفصيل في قوله تبارك وتعالى: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[2].

وقد ذُكرتْ عدّة آراءٍ في تحديد معنى الإحكام والتفصيل للآية المباركة:

الرأي الأوّل: رجوعُ الإحكام والتفصيل إلى القرآن الملفوظ.

فمعنى إحكامُ القرآن الملفوظ هو إحكام اللفظ مِن جهةِ جعله بأبلغ مراتب الفصاحة والبلاغة، ومعنى التفصيلُ في القرآن الملفوظ بمعنى الشرح والبيان.

فهو في عين الحال الذي هو في أعلى مراتب البلاغة والفصاحة هو مفصلٌ بمعنى كونه مبيناً، ولعلّ هذا المعنى هو المشار إليه في قوله عزّ وجلّ: **{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}**[3] فإنّ الجمع والقراءة مِن أوصاف الألفاظ، **{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}**[4] أي: طريقة قراءته، **{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}**[5] فهو جامعٌ بلفظه بين البلاغة والفصاحة والبيان.

---

[1] سورة البقرة، 5 / سورة لقمان، 5.

[2] سورة هود، 1.

[3] سورة القيامة، 17.

[4] سورة القيامة، 18.

[5] سورة القيامة، 19.

وبالتالي فيكونُ معنى الآية المباركة: **{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**[6]، أي: أُحْكِمَتْ بجعله بليغاً فصيحاً، وفُصِّلَتْ بمعنى أنّها اشتملتْ على البيان كما اشتملت على روائع البلاغة والفصاحة.

الرأي الثاني: رجوع الإحكام والتفصيل للمعنى لا للفظ.

أمّا إحكامُ معنى القُرآن فهو جعلُ آيات القرآن الحكيم محكمةَ المضامين ومتقنةَ المعاني بحيثُ لا خلل فيها ولا باطل يعرضها، وأمّا التفصيلُ فهو بمعنى كون مضامين الآيات القرآنية متسلسلة ومترابطة يؤكدُ بعضها بعضاً فلا تباينَ بينها ولا تفكيكَ بينها.

فهي متقنةٌ لا يعرضها خلل وهي مفصلة بالترابط والتسلسل، وهذا نظير قوله تبارك وتعالى: **{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}**[7] فإنّ القرآن الكريم ليس كغيره مِن الكتب السماوية التي عرضها التحريف مِن قِبل بعض البشر فتباينتْ مِن حيثُ المضامين وتفككت.

الرأي الثالث: رجوع الإحكام والتفصيل للقرآن نفسه بالمقايسة مع غيره مِن الكتب السماوية.

والمقصودُ: أنّ القرآن الكريم محكمٌ بمعنى أنّه لَمْ يتعرض لورد النسخ عليه كما نُسخت الكتب السماوية، وإنْ نُسخت بعضُ آياته إلّا أنّها نُسخت بنفس آياته لا بغيره، بينما الكتب السماوية الأُخرى نُسخت بالقرآن الكريم، فهو محكمٌ أي: غيرُ منسوخٍ، ومفصلٌ بلحاظ تضمنه للائحةٍ تفصيليةٍ مِن القوانين الإلهية المتعلقة ببيان الحلال والحرام، كما أُشير إليه في بعض الآيات القرآنية المباركة:

1-كقوله سبحانه وتعالى: **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ}**[8].

2-وقوله تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**

---

[6] سورة هود، 1.

[7] سورة فصلت، 41 – 42.

[8] سورة المائدة، 48.

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[9].

مما يعني أنّ هناك ميزةً واضحةً للقرآن على ما سبقه مِن الكُتب السماوية.

الرأي الرابع: ما في تفسير الميزان للسيد الطباطبائي (قدس سره).

وبيانُه بذكر مقدمتين:

المقدمةُ الأُولى: أنّ مقتضى المقابلة بين الإحكام والتفصيل حيثُ قال تعالى: **{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ}**[10] أنّ المراد بالإحكام الربط، والمراد مِن التفصيل التفريق، فربطُ أجزاء الشيء بعضها ببعض يعتبرُ إحكاماً، كربط أجزاء البدن بعضها ببعض مِن خلال الدماغ والقلب؛ فإنّ وظيفة القلب والدماغ ربطُ الأجزاءِ وتفاصيلِ البدن بعضها ببعض وهذا إحكام، والتفصيل بمعنى جعل هذا الجسد ذا أجزاء وأدوات وأجهزة متنوعة فلكلّ جهازٍ مِن أجهزته هدفٌ وغايةٌ، فهناك ربطٌ وتفريقٌ لأجزاء ذات وظائف متنوعة، فالإحكامُ والتفصيلُ متقابلان تقابل الوحدة والكثرة؛ حيثُ إنّ الإحكام يقتضي الوحدة والتفصيل يقتضي الكثرة.

المقدمةُ الثانية: أنّ التدبر في القرآن الحكيم شاهدٌ على أنّ الكتاب الكريم في عين الحال الذي تكونُ فيه آياتُه مُختلفة المضامين ومُتنوعة المقاصد ومُتكثرة الموارد – كآيات العقائد والأخلاق والقوانين والمواعظ والتاريخ وبيان بديع الخلقة – فإنّ مرجع جميع ذلك لحقيقةٍ واحدةٍ وغرضٍ فارد يسري ذلك الغرضُ في تفاصيله سريان الروح في أبعاض الجسد، فكما تسري الروح في أبعاضه وتفاصيله لتجمعه تحت غرضٍ واحدٍ وهو السير نحو حفظ الحياة، كذلك الحقيقة القرآنية تسري في جميع تفاصيل الكتاب ومضامينه المتنوعة سريان الروح في أبعاض الجسد، وذلك الغرضُ الجامعُ الرابطُ بين مضامينه وتفاصيله غَرَضُ الهداية الذي أُشير إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: **{إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}**[11].

---

[9] سورة الأعراف، 157.

[10] سورة هود، 1.

[11] سورة الإسراء، 9.

أو فقل: إنّ الغرض الأساس في الكتاب الكريم هو التوحيدُ الخالص؛ كما دلتْ عليه الآياتُ القرآنية، منها:

1 – قوله تبارك وتعالى: **{اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}**[12].

2 – وقوله سبحانه وتعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ}**[13].

فالغرضُ الأقصى هو التوحيدُ الخالص، وهذا التوحيدُ الخالص نسبتهُ إلى المضامين المتنوعة – كباب العقائد وباب الأخلاق وباب المواعظ وباب القوانين – نسبةُ الروح لأبعاض الجسد، فالتوحيدُ الخالص بمنزلة المنبع الذي يمد هذه التفاصيل مِن العقائد والأخلاق والمواعظ بالنمو والاستمرار، وهذه التفاصيلُ بالنسبة إليه بمنزلة الدعائم المحققة لرسوخه وثباته؛ فهو يمدها وهي تمده، فهو يربطُ شتاتها وتفاصيلها وهي في نفس الوقت تعودُ إليه، فالتقابل بين التوحيد – الذي هو الغرضُ الجامع – والمضامين المفصلة تقابل الوحدة والكثرة، فهذه المضامين المفصلة كثيرةٌ وواحدةٌ؛ كثيرةٌ في معانيها وواحدةٌ في غرضها والحقيقةِ الجامعةِ لها.

وهذا هو المقصود بالإحكام والتفصيل؛ بلحاظ أنّ الآية المباركة وهي قوله تعالى: **{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ}**[14] أسندت الإحكام والتفصيل للآيات نفسها؛ فجعلت الآيات موصوفةً بوصفين في آنٍ واحدٍ وهما: الإحكام والتفصيل.

وهذا ما أفاده السيد صاحب الميزان (قدس سره) بقوله: (**قوله تعالى: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} فإن المقابلة بين الإحكام والتفصيل الذي هو إيجاد الفصل بين أجزاء الشيء المتصل بعضها ببعض، والتفرقة بين الأمور المندمجة بغضها ببعض ،تدل على أن المراد بالإحكام ربط بعض الشيء ببعضه الآخر وإرجاع طرف منه إلى طرف آخر بحيث يعود الجميع شيئا واحدا بسيطا غير ذي أجزاء وأبعاض.**

---

[12] سورة البقرة، 255.

[13] سورة آل عمران، 64.

[14] سورة هود، 1.

ومن المعلوم أن الكتاب إذا اتصف بالإحكام والتفصيل بهذا المعنى الذي مر فإنما يتصف بهما من جهة ما يشتمل عليه من المعنى والمضمون لا من جهة ألفاظه أو غير ذلك، وأن حال المعاني في الإحكام والتفصيل والاتحاد والاختلاف غير حال الأعيان فالمعاني المتكثرة إذا رجعت إلى معنى واحد كان هذا الواحد هو الأصل المحفوظ في الجميع وهو بعينه على إجماله هذه التفاصيل، وهي بعينها على تفاصيلها ذاك الإجمال وهذا كله ظاهر لا ريب فيه.

وعلى هذا فكون آيات الكتاب محكمة أولا و مفصلة ثانيا معناه: أن الآيات الكريمة القرآنية على اختلاف مضامينها وتشتت مقاصدها وأغراضها ترجع إلى معنى واحد بسيط، وغرض فارد أصلي لا تكثر فيه ولا تشتت بحيث لا تروم آية من الآيات الكريمة مقصدا من المقاصد ولا ترمي إلى هدف إلا والغرض الأصلي هو الروح الساري في جثمانه والحقيقة المطلوبة منه.

فلا غرض لهذا الكتاب الكريم على تشتت آياته وتفرق أبعاضه إلا غرض واحد متوحد إذا فصل كان في مورد أصلا دينيا وفي آخر أمرا خلقيا وفي ثالث حكما شرعيا وهكذا كلما تنزل من الأصول إلى فروعها ومن الفروع إلى فروع الفروع لم يخرج من معناه الواحد المحفوظ، ولا يخطي غرضه، فهذا الأصل الواحد بتركيبه يصير كل واحد واحد من أجزاء تفاصيل العقائد والأخلاق والأعمال، وهي بتحليلها وإرجاعها إلى الروح الساري فيها الحاكم على أجسادها تعود إلى ذاك الأصل الواحد.

فتوحيده تعالى بما يليق بساحة عزه وكبريائه مثلا في مقام الاعتقاد هو إثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وفي مقام الأخلاق هو التخلق بالأخلاق الكريمة من الرضا والتسليم والشجاعة والعفة والسخاء ونحو ذلك والاجتناب عن الصفات الرذيلة، وفي مقام الأعمال والأفعال الإتيان بالأعمال الصالحة والورع عن محارم الله.

وإن شئت فقل: إن التوحيد الخالص يوجب في كل مرتبة من مراتب العقائد والأخلاق والأعمال ما يبينه الكتاب الإلهي من ذلك كما أن كلا من هذه المراتب وكذلك أجزاؤها لا تتم من دون توحيد خالص.

فقد تبين أن الآية في مقام بيان رجوع تفاصيل المعارف والشرائع القرآنية إلى أصل واحد هو بحيث إذا ركب في كل مورد من موارد العقائد والأوصاف والأعمال مع خصوصية ذلك المورد أنتج حكما يخصه من الأحكام القرآنية)[15].

الرأي الخامس: ما هو الأظهرُ عندي.

أنّ المراد بالإحكام والتفصيل وصفان للمضامين القرآنية وهما: الإحكام بمعنى الجمع، والتفصيل بمعنى التجزئة، نظير ما في قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}**[16]؛ فإنّ مقتضى المقابلة بين **{يُفْرَقُ}** و **{حَكِيمٍ}** أنّ المراد بالإحكام يعني الجمع المقابل للتفريق بمعنى التجزئة؛ حيثُ إنّ هناك أقدار محكمة مجموعة تُفصّل تلك الأقدار في ليلة القدر المباركة بحسب الفئات وحسب المنازل وحسب الدرجات.

وقوله تبارك وتعالى: **{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ}**[17] مما يعني أنّ التفصيل يرجع إلى النظم واللغة، فلو جعل قرآنا أعجميّاً لسجلوا هذا الاعتراض وهو: لماذا لَمْ ينزل بأسلوبٍ مفصلٍ كي يكون واضحاً بيناً؟

والمنظورُ باتصاف القرآن الكريم بالإحكام والتفصيل لحاظُ مرحلتين مِن مراحلِ وجود القرآن الكريم:

المرحلةُ الأُولى: هي مرحلةُ الإحكام، وهي: وجودُهُ في اللوح المحفوظ.

والمرحلةُ الثانية: هي مرحلةُ التفصيل، وهي: نزوله إلى عالم الإنسان الذي يشتمل على الألفاظ والأصوات والحروف.

فهو في المرحلة الأُولى مُحكمٌ بمعنى أنّه يتعالى عن الفهم البشري المحدود؛ وذلك نتيجة أنّه لَمْ يكن مفصلاً بلغةٍ عربيةٍ وبسورٍ وبآياتٍ؛ وإنّما كان مضامين في اللوح المحفوظ، ثمّ جاءت المرحلةُ الثانية وهي مرحلة نزوله على النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) بلغةٍ وحروفٍ وأصواتٍ وسورٍ وجملٍ، فانتقل مِن المرحلة المُحكمة المُتعالية عن الفهم البشري إلى المرحلة المُفصلة المُيسرة للفهم البشري.

---

[15] الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات اسماعليان، ج10، ص136.

[16] سورة الدخان، 3 – 4.

[17] سورة فصلت، 44.

وهذا ما يمكن استفادته مِن قرينتين:

الأُولى: قرينة داخلية لفظية في نفس الآية المباركة.

والثانية: قرينة خارجية تنزيلية بمقتضى ضمّ الآيات بعضها لبعض.

فالقرينةُ في نفس الآية هي التعبير بـ "ثُمَّ" **{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ}**، وإذا لوحظت الآراء السابقة فهي لَمْ تحافظ على ظهور (ثُمَّ) في الترتيب والتراخي، **بمعنى**: أنّ مرحلة التفصيل متعقبةٌ لمرحلةِ الإحكام، لا أنّ الآيات في آنٍ واحدٍ هي مُحكمةٌ وهي مُفصلةٌ – كما لوحظ في الآراء المتقدمة –، بل إنّها أُحْكِمَتْ ثُمَّ فُصِّلَتْ بلحاظِ اختلاف المرحلة.

وأمّا القرينة التنزيلية، حيثُ ورد في الحديث الشريف عن الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في وصف القرآن الكريم: (**كِتابُ الله تُبْصِرُونَ بِه، وتَنْطِقُونَ بِه وتَسْمَعُونَ بِه، ويَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعضٍ، ويَشْهَدُ بَعْضُه عَلَى بَعْضٍ**)[18].

وقد جاء في عدّة آياتٍ قرآنيةٍ بيانُ خضوع القرآن الكريم للوجود التدريجي والانتقال مِن مرحلةٍ لمرحلةٍ أُخرى، كما في قوله تبارك وتعالى: **{حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}**[19]، فقد أبانت الآية المباركة بأنّ الله تعالى جعل القرآن عند البشر قرآناً عربيّا مكوناً مِن حروف وألفاظ وسورٍ وآياتٍ، ولكنه في مقام أعلى مِن متناول البشر ليس كذلك كما أبان بقوله تعالى: **{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}** ولَمْ يعبر بـ "لديكم"، أي: أنّه في أُمِّ الكتاب مضامينٌ تتعالى عن الأفهام محكمةٌ بمعنى أنّها ليست مفصلة بألفاظ وأساليب وسور وآيات ليكون ميسوراً للتعقل وللتفهم.

وقوله تبارك وتعالى: **{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا}**[20]، أي: أنّ القرآن لَمْ يكن مفروقاً، ثمّ فرقه لغرضٍ وهذا الغرض هو أنْ يقرأ على الناس على مكثٍ، مما يعني أنّ القرآن الكريم كان في اللوح المحفوظ حكيماً ثمّ نزل على المجتمع البشري بنحو الفرقان، والفرقانُ هو القانون المفصل الفارق بين الحقّ والباطل بهدف أنْ يكون قابلاً للتعقل والتفهم؛ إذ لولا نزولُهُ بهذا

---

[18] نهج البلاغة، السيد الشريف الرضي، دار الكتاب اللبناني، ص192.

[19] سورة الزخرف، 1 – 4.

[20] سورة الإسراء، 106.

النحو لما كان قابلاً للتعقل والتفهم كما كان أمرُهُ وشأنه في اللوح المحفوظ؛ فإنّ التعبير بـ **{فَرَقْنَاهُ}** قرينةٌ على أنّه بمعنى التفصيل مقابل الإحكام، نظير قوله تعالى: **{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}**[21].

المحورُ الثاني: في الهدف الأقصى من نزول القرآن العظيم.

إنّ الهدف الأقصى مِن نزول القرآن الكريم هو الهداية، كما في قوله تعالى: **{ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}**[22]، وقوله تعالى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}**[23].

ومقتضى الهدف الأقصى – وهو غرض الهداية – نزولُهُ للمجتمع البشري بطريقةٍ ونظمٍ تؤدي للوصول لتحقيق هذا الهدف، وذلك عن طريق صياغته ونظمه بنحوٍ مفصلٍ، كما أشارت إليه الآيات القرآنية في قوله سبحانه وتعالى: **{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا}**[24]، فقوله: **{يَسَّرْنَاهُ}** أي: صغناه صياغةً ميسرة، وقوله: **{بِلِسَانِكَ}** أي: باللغة العربية.

وكما في قوله تبارك وتعالى: **{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}**[25] أي: أنّ للقرآن وجودين: وجوداً متعالياً ووجوداً ميسراً، وهذا الوجودُ الميسر خضع لأُسلوبٍ ونظمٍ تفصيلي يُوجبُ تحقيق الهدف مِن نزوله ألّا وهو الوصول إلى الهداية.

وإنّ نفس هدف الهداية كما اقتضى نَظْمَ القرآن بأُسلوبٍ ميسورٍ واضحٍ كما في قوله تبارك وتعالى: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}**[26] فإنّه اقتضى صوغه بنحوٍ يكون لهُ جانبان:

الأوّل: الجانب الظاهر، والثاني: الجانب الباطن.

فالقرآن الكريم كما يشتمل على ظهورٍ واضحٍ كذلك يشتملُ على شفراتٍ ورموزٍ وإشاراتٍ تُشيرُ إلى باطنٍ أعلى وأعمق مِن هذا الظاهر؛ ليكون ذلك ميداناً للتدبر والتأمل والعبور مِن الظاهر للباطن

---

[21] سورة الدخان، 4.

[22] سورة البقرة، 2.

[23] سورة النحل، 89.

[24] سورة مريم، 97.

[25] سورة القمر، 17.

[26] سورة الشعراء، 193 – 195.

بما ينسجم مع الأذهان البشرية في مستوى الفهم والتدقيق والتفقه، وهو ما ورد عن الرسول الأعظم محمدٍ (صلى الله عليه وآله) كما في الكافي: (**عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ: عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ، عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ فِي دَارِ هُدْنَةٍ، وَأَنْتُمْ عَلى ظَهْرِ سَفَرٍ، وَالسَّيْرُ بِكُمْ سَرِيعٌ، وَقَدْ رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ؛ فَأَعِدُّوا الْجَهَازَ لِبُعْدِ الْمَجَازِ.**

قَالَ: فَقَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا دَارُ الْهُدْنَةِ؟

قَالَ: دَارُ بَلَاغٍ وَانْقِطَاعٍ؛ فَإِذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ؛ وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلى خَيْرِ سَبِيلٍ، وَهُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَهُ نُجُومٌ، وَعَلى نُجُومِهِ نُجُومٌ، لَاتُحْصى عَجَائِبُهُ، وَلَاتُبْلى غَرَائِبُهُ، فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدى، وَمَنَارُ الْحِكْمَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ الصِّفَةَ، فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَهُ، وَلْيُبْلِغِ الصِّفَةَ نَظَرَهُ؛ يَنْجُ مِنْ عَطَبٍ، وَيَتَخَلَّصْ مِنْ نَشَبٍ؛ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ، كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ، فَعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ وَقِلَّةِ التَّرَبُّصِ)[27].

وهذا المعنى هو المشار إليه بقوله تبارك وتعالى: **{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ}**[28] وإنْ كان في صُدُور غيرِهِمْ أحكام وظواهر لكنَّه في صدور الذين أُوتُوا العلم آياتٌ بَيِّنَاتٌ، وذلك بلحاظ حقائقه ومقاصده السامية.

المحورُ الثالث: في تحليل ظاهرة التكرار لبعض الآيات القرآنية.

إنّ تناول ظاهرة التكرار لبعض الآيات القرآنية كالآية المتكررة في سورة البقرة وسورة لقمان وهي قوله عزّ وجلّ: **{أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[29] تارةً بنحو العقد السلبي وأُخرى بنحو العقد الإيجابي.

---

[27] الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج4، كتاب فضل القرآن، الباب 1 باب فضل حامل القرآن، ح2.

[28] سورة العنكبوت، 49.

[29] سورة البقرة، 5 / سورة لقمان، 5.

بمعنى: أنّه تارةً يرتكزُ التوجيه على أنّ التكرار في القرآن الكريم ليس بلغوٍ ولا شاهداً على العجز، بل هو مشتملٌ على أغراضٍ عقلائية جليلة في مقام البيان كتأكيد المعاني وترسيخ المقاصد، واختلاف السياق – كما سبق ذكره في البيان الإجمالي –، وهذا هو عبارةٌ عن العقد السلبي.

وتارةً يكون التوجيه بنحو العقد الإيجابي.

بأنْ يُقال: مقتضى الهدف القرآني العام – وهو هدفُ الهداية – التكرار، أي: أنّ التكرار مطلوبٌ وحسنٌ، لا أنّه ليس بقبيح ولا لغو.

وبيانُه: أنّ تكرار بعض الآيات القرآنية هو مقتضى الهدف القرآني وهو الهداية؛ فكما أنّ القرآن الكريم قد خضع لوجودين: وجودٍ مُحكم ووجودٍ مفصل، وكان الموجب للوجود المفصل أنّ تحقيق هدف الهداية متوقفٌ عليه، كذلك تحقيق هذا الهدف السامي – وهو الهداية – يقتضي انحلال الغاية الإلهية إلى نحوين: **الأُولى**: الغاية المجموعية. **والثانية**: الغاية التفصيلية.

فكما أنّ لمجموع القُرآن الكريم – إذا لوحظ بما هو مجموع – سببيةٌ لمرتبة عُليا مِن الهداية قد حث عليها القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}**[30]، فكذلك لكلّ موردٍ مِن موارده ومضمون كلّ آيةٍ مِن آياته سببيةٌ أيضاً لمرتبةٍ معينةٍ مِن الهداية.

وهو المنظورُ في الفرق بين قوله سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}**[31]، وقوله تبارك وتعالى: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}**[32].

فقد يأتي السؤال: ما هو الفرق بين التعبيرين؟

ففي الآية المباركة الأُولى قد جَعَلَ القُرآن كُلّه شفاء، وفي الآية المباركة الثانية بمقتضى التعبير بـ "مِنَ" الظاهرة في التبعيض قد جَعَلَ بعض القُرآن شفاء؟

---

[30] سورة محمد، 24.

[31] سورة يونس، 57.

[32] سورة الإسراء، 82.

والجواب: إنّ الفارق بين الآيتين الشريفتين بحسب المعنى أنّ الشفاء كما هو وَصْفٌ لمجموع القرآن الكريم فهو وَصْفٌ لمواردِهِ وآياتِهِ أيضاً، مما يعني أنّ هناك مرتبة عُليا مِن الشفاء تترتّب على مجموع القرآن وهناك مراتبٌ مِن الشفاء تترتّب على موارد آياتِهِ المباركة.

المحورُ الرابع: بما أنّ مقتضى الهدف الأسمى – وهو الهداية – الانحلال لهدايةٍ مجموعية وهدايةٍ تفصيلية، وهذه الهداية التفصيلية مما تتحقّق في كلّ موردٍ مِن موارد مضامين القرآن الكريم بحسبه، فكذلك تقتضي هذه الهداية التفصيلية تكرار بعض الأوسمة في بعض الآيات المباركات لاقتضاء الهداية التفصيلية لتكرار هذا الوسام.

وبيانُ ذلك: إنّ بعض الآيات تتضمن ذكر ميزة ووسام للمؤمنين نحو قوله تبارك وتعالى: **{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا}**[33]، فإنّ هذه الأوصاف هي وسامٌ؛ لأنّها إشارةٌ إلى مقامٍ أُخروي معيّن ينالُهُ مَن تحصل وتوفر على المؤهلات التي تؤهله لهذا المقام.

فبما أنّ هذا المضمون وسامٌ لذلك تكرر في القرآن الكريم تبعاً لتكرار المؤهلات.

بمعنى: أنّه في كلّ موردٍ يتعرض للمؤهلات لهذا الوسام فيقتضي ذلك تكرارُ ذِكْرِ الوسام، كما يقال في أيِّ لائحةٍ قانونيةٍ أنّ مِن الأوسمة شهادة الدكتوراه وشهادة الدكتوراه تحتاج في مجال الطب لمجموعةٍ مِن المؤهلات، وفي مجال الهندسة لمجموعة أخرى مِن المؤهلات، وفي مجال الفيزياء لمجموعةٍ ثالثةٍ مِن المؤهلات، فتكرار ذِكْرِ الوسام في عدّةِ مواردٍ لاختلاف وتنوع مؤهلاته في كلّ حقلٍ بحسبِهِ.

ومِن هذا القبيل ما في قوله تعالى: **{فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}** فإنّ المذكور وسامٌ أُخروي، لكن لهذا الوسام مؤهلات متنوعة، فكلما ذَكَرَ القرآن نوعاً مِن المؤهلات أعقبها بذكر هذا الوسام، وليس ذلك مِن باب التكرار بل هو مِن باب ربط النتيجة بالمقدمات الذي تقتضيه الهداية التفصيلية في موارد القرآن الكريم.

وكما أنّ قوله عزّ وجلّ: **{فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}** وسامٌ، فكذلك قوله تعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** هو وسامٌ

[33] سورة النساء، 69.

ومقامٌ روحي يجعلُهُ الله تبارك وتعالى لمن امتلك مؤهلاتٍ معينة، وحيثُ إنّ هذه المؤهلات متنوعة تختلف باختلاف الموارد لذلك إذا ذَكَرَ نوعاً مِن المؤهلات أعقبها بِذكر الوسام المترتّب عليها، وهو قوله سبحانه: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**.

فعندما تحدث في سورة البقرة عن المؤهل الغَيبي وهو عبارةٌ عن عُلقة القلب بعالمِ الغَيْب – بنحوين: الأوّل: علقة جوانحية، والثاني: علقة جوارحية – بقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[34] أَعقبهُ تعالى بذكر الوسام بقوله عزّ وجل: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[35].

وعندما تعرض في سورة لقمان إلى المؤهل السلوكي وهو الإحسان بقوله تعالى ذكره: **{هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[36] أعقب المؤهل السلوكي بهذا الوسام بقوله تبارك وتعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[37].

وخلاصةُ الحديث: أنّ الهداية التفصيلية التي هي الغرضُ الأقصى مِن نزول الكتاب الكريم تقتضي التكرار لبعض الأوسمة والمميزات أو العقوبات والجزاءات نتيجة تنوع الأسباب التي كان لابُدّ مِن عرضها تفصيلاً في مرحلة التفصيل، وهو ما سبق التعبير عنه في البيان الإجمالي بتنوع السياق.

والحمد لله رب العالمين

---

[34] سورة البقرة، 4.

[35] سورة البقرة، 5.

[36] سورة لقمان، 3 – 4.

[37] سورة لقمان، 5.